

## النشاط الصناعى والحرفى فى الموانئ الشامية فى خلال العصر المملوكى (649هـ / 1250م - 922هـ / 1516م)<sup>(1)</sup>

د. محمود محمد الجبارات<sup>(\*)</sup>

د. عصام إبراهيم محيسن

قمر إبراهيم بنى عطا

ملخص

هذه دراسة عن النشاط الصناعى والحرفى فى الموانئ الشامية، فى خلال العصر المملوكى، عالجت فى البداية التجارة الداخلية ومسالكتها، والسلع المتبادلة بين المدن الشامية وعلاقتها بهذه الحرف والصناعات، وبحثت فى المنشآت التجارية التى تضم عادة منشآت صناعية أو حرفية، وأنواع هذه المنشآت، وأثر التبادل السلعى فى التجارة الداخلية والخارجية، والطلب على هذه السلع، أو تبادلها من خلال السلطنة المملوكية.

وعن النشاط الصناعى والحرفى وتطوره فى العصر المملوكى بحثنا فى وفرة المواد الأولية، وتوافر الأيدى العاملة الماهرة المدربة التى أسهمت فى تطوير صناعات وحرف يعتمد بعضها على الإنتاج النباتى، وبعضها الآخر على الإنتاج الحيوانى، وبعض الصناعات المعدنية.

ولوحظ ازدهار صناعة السكر وتكريره وصياغته فى قوالب مختلفة الكثافة والنوعية، وازدهار صناعة زيت الزيتون والصابون لتوافر المواد الخام، وصناعة المنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والصوفية، وازدهرت هذه الصناعات لتتنافس الأمراء الفرنجة عليها طمعاً فى تحقيق مزيد من الثروة.

وصناعة الزجاج التى تقنن فيها الصناع المهرة، وأعجب بها الأمراء الفرنجة؛ ومنها صناعة الأدوات الزجاجية، وزجاج المباني، والأكواب المطلية بالميان، والتحف البلورية المموهة بالذهب. وعدت صناعاته من الصناعات الوطنية الرئيسة فى الساحل الشامى. كما عرفت الموانئ الشامية صناعة الخزف؛ مثل: الأوانى الخزفية، والمصابيح، والكنوس، والأباريق. وكانت صناعة المراكب مزدهرة فى هذه الموانئ، غير أنها ازدهرت بعد تهديدات الفرنجة للسواحل الشامية فى أثناء الحروب الصليبية وبعدها.

وعرفت صناعات أخرى؛ منها صناعة الورق، وصناعة الخمر، والصناعات المعدنية؛ مثل صناعة الأسلحة: السيوف، وآلات الحرب التى كانت تصنع من الحديد.

الكلمات الدالة: الصناعات والحرف، الممالك، الموانئ الشامية.

(\*) جامعة البلقاء التطبيقية، كلية عمان الجامعية للعلوم المالية والإدارية.

## Nego Revolution (255-270)

Salwa Abd al khalek Ali

The Nego Revolution lasted for fourteen years during the Abbassid Dynasty. The study examines the principle, aims, creeds, social and economic condition and systems of the Negro Revolution .

Judnstrial Activities and crafts in sham though mamluk age(1250-1516) the study deals with industrial Activities and crafts during the mamluk Age. IT studies activities such pugor production , soap and olive oil production and cotton wool and silk garments. It also sheds light on glass and boats manufacturing.

## مقدمة:

ترتبط التجارة والصناعة والحرف ارتباطا وثيقا؛ إذ تعبر هذه النشاطات عن مدى تقدم المجتمعات أو تخلفها، كما تشير إلى المستوى المهنى والصناعى والحرفى لهذه المجتمعات، وتعطى صورة عن حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وتطور النشاط الصناعى والحرفى فى الموانئ الشامية فى خلال العصر المملوكى هو موضوع هذا البحث، ونحاول فيه إلقاء الضوء على هذه النشاطات وارتباطاتها بالمجتمعات المحلية والمدن الداخلية ومواقع الإنتاج من جهة، وارتباطها بالنشاط التجارى المملوكى فى خلال فترة الدراسة مع أوروبا والشرق الأقصى من جهة أخرى.

ولعلنا نلاحظ أن النشاط الصناعى والحرفى فى هذه الموانئ، اعتمد بصورة أساسية، على المواد الطبيعية، والمنتجات الزراعية، والمواد الأولية المتوافرة فى بلاد الشام، فى خلال فترة الدراسة؛ وهو مما شكل تميزا لهذا النشاط الصناعى، ولجودة الحرف المصنعة، وازدياد الطلب الداخلى والخارجى على هذه الصناعات.

وقد لوحظ أن المنتج من هذه النشاطات يتمتع بجودة عالية، أدت إلى ازدياد الطلب، ليس على السلع المصنعة فحسب، وإنما أيضا على صانعى هذه السلع، ومن ثم ازدياد الطلب على الأيدى الماهرة فى السلطنة المملوكية، من قبل تجار أوروبا الغربية، خاصة إيطاليا وفرنسا وقبرص.

وبرغم ما أحاق بهذا النشاط من عوامل مثبطة، كان منها الأمراض الوبائية، خاصة الطاعون والكوارث الطبيعية؛ مثل الزلازل، والعوامل الناتجة عن الإنسان؛ مثل تراجع التجارة الخارجية أو الداخلية أو الحرائق، وعوامل أخرى؛ منها انتشار قطاع الطرق، وانتشار الجراد، والغش فى العملة، وسياسة الطرح والاحتكار؛ فإن هذه النشاطات الصناعية والحرفية قد استمرت وحافظت على جودتها وتميزها.

## التجارة الداخلية ومسالكتها:

أسهمت الطرق الداخلية التى شكلت شبكة المواصلات البرية والبحرية، فى تطور التجارة الداخلية فى الفترة المملوكية، وأسهمت فى زيادة النشاط التجارى، من خلال نقل المواد الخام والبضائع، وفى زيادة النشاط الصناعى والحرفى، وربطت المدن الشامية الداخلية بالموانئ الشامية على البحر الأبيض المتوسط الذى كان يربط الموانئ الشامية بعضها ببعض، من خلال حركة السفن الشراعية<sup>(2)</sup>، فى حين كانت الطرق والمسالك البرية الداخلية تربط المدن الداخلية بعضها ببعض،

وتربطها بالموانئ الشامية. ومن أبرز الطرق البرية الداخلية ما يأتي:

- طرق بيروت: أولها طريق دمشق، مروراً بخان ميسلون، ومنها إلى زبدان<sup>(3)</sup>، فالحصين<sup>(4)</sup>، ثم ينتهي إلى بيروت. وثانيها طريق يربطها بصفد<sup>(5)</sup>، فيمر بالبريج والقلوص<sup>(6)</sup>، والفران، ثم جب يوسف<sup>(7)</sup>.
- طريق طرابلس: يبدأ من العولمة إلى العصب، ومنها إلى القدس، ثم يجتاز أقمار، وعرقا، ومنها إلى طرابلس<sup>(8)</sup>.

- طرق صيدا: الأول يبدأ من دمشق إلى خان ميسلون، ثم إلى جزيرة صيدا، ومنها إلى كرك نوح<sup>(9)</sup>، ثم بعلبك<sup>(10)</sup>، والثاني (طريق جعبر)<sup>(11)</sup> الذي يربط دمشق بالزبداني، وبعلبك وحمص، وسلمية<sup>(12)</sup>، والحص، وينتهي بجعبر.

- طرق غزة: ارتبطت غزة بثلاثة طرق رئيسة؛ هي:  
أولاً- طريق (غزة دمشق): يبدأ من غزة إلى جنين<sup>(13)</sup>، ثم بيت راس<sup>(14)</sup>، ثم إلى اللد<sup>(15)</sup>، ثم العوجا<sup>(16)</sup>، ثم إلى الطيرة وقاقون<sup>(17)</sup>، إلى حنين وزرعين، ثم عين جالوت<sup>(18)</sup> وبيسان<sup>(19)</sup>، ثم إربد<sup>(20)</sup> وطفس، ثم رأس الماء إلى الصفان<sup>(21)</sup>، ثم إلى غباغب<sup>(22)</sup>، ثم الكسوة<sup>(23)</sup>، منتهية إلى دمشق.

- ثانياً- طريق (غزة - صفد) ماراً بجنين ثم تبينين إلى حطين وينتهي بصفد<sup>(24)</sup>.
- ثالثاً- طريق (غزة - الكرك)<sup>(25)</sup>، وهذا الطريق يبدأ من غزة إلى ملاقس، ثم بيت جبريل<sup>(26)</sup>.

يتبين مما سبق أن مدن بلاد الشام وموانئها وقراها قد ربطت بمسالك وطرق برية وبحرية، وأسهمت هذه الطرق والمسالك في تنشيط حركة التجارة الداخلية، وازدهار الأسواق. ولا شك أن ذلك رفق النشاط الصناعي والحرفي بالأسواق والمواد الخام، وسهل حركة التبادل السلعي للسلع المصنعة في الموانئ المختلفة.

### السلع التجارية المتبادلة بين أسواق المدن الشامية:

كان لطرق التجارة الداخلية التي ربطت مدن الشام، خاصة الداخلية مع الساحلية منها، أثر في تنشيط الحركة التجارية فيها؛ وغدت المدن الساحلية مراكز تجمع للتجار الذين يأتون من حلب وحمص وبعلبك وحماة ودمشق، محملين بالسلع المختلفة.

ومن أهم المنتجات المتبادلة بين أسواق بلاد الشام، حينذاك، وتصدّره مدنها إلى مدن أخرى؛ ما كانت تصدره طرابلس من قصب السكر، والقطن والزيتون والجوز واللوز والبلح، في حين يحمل إليها من بعلبك القطن والزيتون والجوز واللوز والبلح<sup>(27)</sup>، ويحمل إليها من بعلبك كذلك الأقمشة لتباع في أسواقها، وتصدر إليها

حماة الصوف والأغنام والفسق والجلود المدبوغة؛ لذا كانت طرابلس مركز تجمع وملقى للتجار المحليين من حمص وبعلبك ودمشق وحماة وحلب<sup>(28)</sup>، ويصدر من صور السكر والخرز<sup>(29)</sup> والزجاج المخروط والمعمولات<sup>(30)</sup>، وصدرت دمشق إلى صيدا الأواني الخزفية والتحف الزجاجية والمعادن والحلل الموشاة<sup>(31)</sup> والمنسوجات الحريرية الفاخرة، والشموع، وبعض الدواب (كالأغنام والخيول)<sup>(32)</sup>.

وصدرت دمشق إلى بيروت (التي كانت سوقها الرئيسية) منتجات مثل البهارات<sup>(33)</sup>، والأقمشة المختلفة، والورق، والمصنوعات النحاسية، ودهن البنفسج، والجوز، والقطين، والزبيب<sup>(34)</sup>، إضافة إلى الحلويات التي قل وجودها في خارج دمشق، إذ وصفت بجودتها، وطيب مذاقها<sup>(35)</sup>.

وكذلك الزجاج والخزف والفخار وماء الورد؛ فاجتمع في بيروت تجار دمشق، وحلب وحماة وبعلبك حاملين معهم ما تنتجه بلاد الشام. وقد ذكر المؤرخ المعاصر المقدسي<sup>(36)</sup> بعض المواد الأولية التي كانت تستخرج من بلاد الشام؛ مثل الحديد من جبال بيروت، والمغرة<sup>(37)</sup> من حلب وعمّان، وتراب المسقة والحوارة لتبييض السقوف وتطيين السطوح، ومن فلسطين خاصة بيت جبريل مقاطع الحجارة البيضاء والرخام، وكانت أغوار نهر الأردن تنتج الكبريت، ومن البحر الميت (البحيرة المقلوبة) ينتج الملح المنثور، وفي القدس وجبل عامله ينتج العسل. وقد صدرت بيروت للأسواق الشامية التفاح<sup>(38)</sup>، واستوردت عكا من بيت المقدس سلعا متنوعة؛ منها الصابون<sup>(39)</sup>، وصدرت حلب سلعا كثيرة عرف منها: ماء الورد والصابون والرمان والبطيخ بشتى أنواعه، ونقل بذر البطيخ إلى غزة وبعض القرى حول دمشق<sup>(40)</sup>، كما صدرت حلب الحرير، واشتهرت بتربية دودة القز التي تتغذى على أشجار التوت<sup>(41)</sup>.

ويلاحظ أن المدن الشامية كانت تعتمد في تجارتها وصناعاتها على بعضها البعض اعتمادا تبادليا؛ ولذلك فقد ازدهرت التجارة والصناعة والحرف.

### المنشآت التجارية:

لتشجيع التجارة والصناعة في بلاد الشام وتنشيطها، وحفاظا على العلاقات الاقتصادية واستمرارها بين دولة المماليك والقوى الأخرى، شجع السلاطين المماليك إقامة عدد من المنشآت والمرافق التجارية، وكان منها ما يأتي:

#### أولا- القياسر:

عرفها مؤرخ معاصر بأن واحدها قيسارية، وهى خان صغير، فيه دكاكين ومعامل<sup>(42)</sup>. ويبدو أنها محرقة عن الكلمة اللاتينية (Cesarie) (قيصر)، أو (Caesarea)<sup>(43)</sup>، وهى تعنى البناء الإمبراطورى، على أساس أن السوق من

الأملك العامة التى تعود ملكيتها إلى الدولة<sup>(44)</sup>.

وتتشابه القياسر مع الوكالات والخانات والفنادق من حيث بنائها؛ فهي أبنية كبيرة من طابقين فى العادة، حول ساحة داخلية تتوسطها، وحولها ممر يصل إلى المخازن التى تخزن السلع التجارية، وهى مسقوفة، وفوقها عدة دكاكين، ومساكن تؤجر لطوائف معينة من التجار، ويسكن بعضها العامة، ولها عدة أبواب كبيرة سمكية من الحديد، وتقفل بوساطة آلة حديدية<sup>(45)</sup>.

ولا تختلف القياسر فى وظيفتها عن الفنادق والخانات والوكالات<sup>(46)</sup>، ففيها حوانيت تؤجر للتجار؛ إضافة إلى انتشار المصانع الصغيرة فيها<sup>(47)</sup>، كما أن لها صفة النزل لإقامة التجار وخزن بضائعهم، وحفظ أموالهم، ويكون البيع فيها جملة وتجزئة<sup>(48)</sup>. وقد انتشرت هذه القيساريات فى أغلب مدن الساحل الشامى<sup>(49)</sup>، وأسهمت فى ازدهار التجارة الداخلية والخارجية، وارتفع عددها، ففي ميناء طرابلس كان هناك عدد من القياسر؛ مثل قيسارية الدهيشة، وقيسارية التجار<sup>(50)</sup>، وفى ميناء بيروت أنشأ الممالك القياسر لتنشيط التجارة، كما ورد ذكر للقيساريات فى كل من صور وصيدا وعكا<sup>(51)</sup>.

وفى غزة أخذت القياسر شكل قناطر تقع على جانبيها الدكاكين للتجار والصناع، خاصة فى عهد الظاهر بيبرس (620هـ / 1232م - 676هـ / 1277م) الذى تسلطن فى (658هـ / 1260 - 667هـ / 1269م)<sup>(52)</sup>، والسلطان برقوق وهو الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص الجركسى (741هـ / 1340م - 801هـ / 1398م) الذى تسلطن فى (784هـ / 1382م - 801هـ / 1398م)<sup>(53)</sup>.

ومن أبرز قياسر غزة: قيسارية مركز المدينة، وقد تسابق أمراء الممالك والتجار الكبار فى بنائها، وكانوا يؤجرونها للتجار والهيئات، كل دكان أو حجرة بمفردها، وبأسعار كانت تبدو خيالية<sup>(54)</sup>، وتوزعت فى المدينة نفسها، وكان لتوزيعها فلسفة تجارية؛ إذ كان يتم اختيار الموقع بالقرب من الجامع الرئيسى؛ فإذا ما فرغ المصلون من صلاتهم وجدوا أنفسهم داخل هذه القياسر لقضاء حوائجهم بكل سهولة ويسر<sup>(55)</sup>.

## ثانياً- الفنادق:

واحداهم الفندق، وقد تجمع على فنادق، وهو أحد المنشآت التجارية التى أقيمت لخدمة التجار، ويعود أصلها إلى فُنْدُق خان أو مخزن يضع فيه التجار القمح فى المدينة لبيعه<sup>(56)</sup>. والكلمة مأخوذة من اللغة اليونانية، وأصلها (pandokion)

التي تعنى البضائع المكدسة<sup>(57)</sup>، ونقلت إلى اللغة الإيطالية لتقابل كلمة (Fondach)، وتدل على المبنى الضخم المربع الشكل المكون من عدة طوابق، ويوحى مظهره الخارجى بأنه قلعة حصينة، ووصف بأنه قد خصص الطابق الأرضى منه للمحلات والمخازن التى تعرض أو تخزن السلع، فى حين يطل الفندق من الداخل على ساحة واسعة لتسهيل عمليات البيع والشراء، والتفريغ والشحن، وتشغل الطوابق العليا مساكن للتجار، وتحيط به الحدائق التى تحوى عادة أشجار جلبت من الأوطان التى قدم منها التجار؛ ولذلك كان الفندق قطعة من وطن التاجر، ويتمتع فيه التاجر بحرية<sup>(58)</sup>.

وقد أشار ابن منظور إلى أنه "خان من هذه الخانات التى ينزلها الناس، مما يكون فى الطرق والمدائن"<sup>(59)</sup>. وفى العصر المملوكى انتشرت الفنادق فى كل الموانئ الشامية<sup>(60)</sup>، ففى بيروت كانت الصفقات التجارية تعقد فى فنادقها، ثم تحزم البضائع وتنقل إلى البواخر. وأم كثير من التجار الأجانب هذه الفنادق للإقامة فيها عند قدومهم إلى بيروت<sup>(61)</sup>. وأما صور فقد وجد فيها عدد وفير من الفنادق ذات خمسة أو ستة طوابق، وجميعها متلاصق<sup>(62)</sup>.

كذلك طرابلس التى ضمت عدة فنادق، تراوحت طبقاتها بين أربعة وستة طوابق<sup>(63)</sup>. وقد ذكر (رادولف) عند زيارته لطرابلس أن هناك بعض الفرنسيين الذين استقبلوه، وكانوا ينزلون فى نزل كان يسميه أهل الشام فندقاً، وموقع هذا الفندق قرب بوابة المدينة، وإلى جواره فندق آخر أيضاً<sup>(64)</sup>. ويعزى سبب اختيار موقعهما إلى أن هذين الفندقين كانا يتصلان بالمرفأ والشاطئ البحرى، من خلال هذه البوابة، وهذا يسهل على الممالك نقل التجار والملاحين وسلعهم من المدينة وإليها. كما وجد فى عكا عدد من الفنادق<sup>(65)</sup>.

ويلاحظ أن عدد الفنادق قد ازداد فى خلال الفترة المملوكية فى بلاد الشام، وكانت منتشرة فى الموانئ والمدن الساحلية ذات الأهمية التجارية، لكثرة من توافد إليها من تجار ومسافرين. وقد حرصت الدولة المملوكية على توفير كل وسائل الراحة فى الفنادق من أجل تنشيط التجارة وتشجيع التجار على القدوم إلى البلاد والإقامة فيها. وكانت هذه الفنادق مملوكة للدولة المملوكية، وتقدمها لإقامة التجار الأجانب تشجيعاً لهم على القدوم إلى البلاد. وقد نصت المعاهدات التجارية على حق السلطان فى استرداد الفنادق وقتما يشاء<sup>(66)</sup>.

ولكن السلاطين المماليك غيّروا هذه السياسة؛ وأصبحوا يحصلون على إيرادات سنوية من التجار الأجانب نظير نزولهم بهذه الفنادق<sup>(67)</sup>، وهذا مرتبط بلجوء السلاطين أنفسهم إلى التجارة من جهة، ويفسر العجز الاقتصادى الذى أصاب الدولة المملوكية من جهة أخرى.

وتتبع الفنادق إلى إدارة الجمارك بالموانئ، وهى الهيئة المشرفة عليها، وتتكفل بسلامتها، وتحصيل إيجارها، وعند وصول التاجر الأجنبي إلى الميناء يفتش، ويدفع ما عليه من رسوم، ثم يسمح له بالذهاب إلى الفندق<sup>(68)</sup> الذى يشرف عليه موظف معين، وظيفته إدارة الفندق، وتحصيل بدلات الإقامة؛ ويعرف بـ(الفنداقى)، وله معاونون. وتتلخص مهامه فى الإشراف على سير العمل بالفندق، وعلى حياة رواد الفندق اليومية، وعُرف من شروط انتخابه لهذه الوظيفة أن يكون من ذوى النفوذ<sup>(69)</sup>.

وهناك موظف آخر هو القنصل التجارى الذى يُختار من بين اثنى عشر تاجرا مقيما فى بلاد الشام، وهو مسئول أمام السلطان عن الفندق، وعن الرسوم الواجبة على تجار جاليته الذين ينزلون بالفندق؛ ورصد جزء من هذه الرسوم لصيانة مبنى الفندق واصلاحاته، كما أنه مسئول أمام السلطان عن حدوث أى خلل أو أية مشكلات تحدث بين نزلاء الفندق<sup>(70)</sup>، ومن صلاحياته تمديد إقامة أحد نزلاء الفندق، وله حق قبول نزول أى من أعضاء الجاليات فى الفندق أو رفض ذلك<sup>(71)</sup>. وواضح أن سلطات القنصل فاقت سلطة (الفنداقى) الذى كانت مهامه محدودة.

وتمتع نزلاء الفندق، من التجار وغيرهم، بالعيش بحرية تامة، وزاولوا كل أنشطتهم، وكفلت لهم المعاهدات حق ممارسة شعائرهم الدينية، فمنحوا حق إقامة الأفقران والكنائس، واستعمال الموازين والمكاييل الخاصة بهم<sup>(72)</sup>، كما سمح لهم فى هذه الفنادق بشرب الخمر وتربية الخنازير<sup>(73)</sup>.

وضمّ الفندق أيضا محكمة يشترك فى إدارتها أربعة من المواطنين وأجانبى واحد<sup>(74)</sup>. وبرغم هذه الحرية التى أتيحت للتجار الأجانب؛ فإن السلطات المملوكية لم تكن تسمح لهم بالخروج من الفندق ليلا أو وقت صلاة الجمعة، كما أنها كانت تغلق أبواب الفندق ليلا حرصا على عدم إيذاء مشاعر المسلمين، ومنعا لحدوث سرقات<sup>(75)</sup>.

وقد أسهمت هذه الفنادق فى تنشيط الحركة التجارية والصناعية، وفى زيادة الطلب على المنتجات الحرفية المصنعة محليا.

### ثالثا- الخانات:

مفردها خان، وهى كلمة فارسية<sup>(76)</sup> استعملت بكثرة فى مصر وبلاد الشام، وعرفت فى العصر الفاطمى والأيوبرى ثم المملوكى الذى عدت فيه الخانات العصب الرئيسى للتجارة فى المدينة. وقد وجدت هذه الخانات فى وسط المدينة وعلى شوارعها الرئيسية، وتآلف بناؤها من طابقين وساحة مبلطة، وضم الطابق الأول اصطبلات ومخازن للبضائع وغرف واستراحة للمسافرين، وبعض العاملين فى



الخان كالدالين والوزانين، إضافة إلى مصلى، وضم الطابق العلوى غرفا معدة للنوم<sup>(77)</sup>.

والخانات فى مظهرها ليست سوى خان وفندق معا، ويمكن القول إن الفرق الوحيد بينهما أن الخانات كانت تقام خارج المدن لكى تلائم الغرض من بنائها الذى هو إيواء التجار وسلعهم ودوابهم، لذلك عرفت الخانات بأنها فنادق مبيت القوافل<sup>(78)</sup>. وكانت على نوعين: الأول خان التجار الذى يقام عادة داخل المدن، أو خان المسافرين الذى يقام خارج المدن، أما ما أقيم منها فى المناطق الداخلية فمنها ما كان مخصصا لإقامة التجار والمسافرين<sup>(79)</sup>، ومنها ما خصص لأغراض أخرى كفندق أو لإقامة العسكر؛ ففى طرابلس جاء توزيع الخانات فيها بجوار الحمامات والأسواق. وقد حددت السجلات الشرعية عدد خاناتها بأربعين خانا، كان من أبرزها خان الخياطين، وخان الصابون الذى كان مخصصا لصناعة الصابون وتجارته، وخان الجاويش (العسكر)، وخان المنزل الذى كان أفضلها، وخان المصريين الذى خصص لنزول التجار القادمين من مصر، وعرف أيضا بخان العجم لنزول الأجانب فيه<sup>(80)</sup>، ولا يزال قائما ويستخدم للتخزين، ويعود تاريخ بنائه إلى الفترة الواقعة بين عامى (709هـ/1309م و756هـ/1355م)، وتطور غرفه حول فناء مركزى، وفى أعلى هذه الغرف قباء نصف إسطوانى عامودى<sup>(81)</sup>.

ومن أقدم خانات طرابلس خان الخياطين الذى لا يزال قائما حتى اليوم. وكان خان الصابون بمحلة الصاغة، يضم باحة داخلية تتوسطها بركة، وكان منذ فترة طويلة مخصصا لصناعة الصابون<sup>(82)</sup>. وقد أنشأ المماليك فى بيروت خانات جديدة لتنشيط التجارة، ووضعوها تحت تصرف التجار المسلمين<sup>(83)</sup>؛ ومنها خان تتكز الذى أنشأه سيف الدين تتكز (ت: 743هـ/1341م) نائب دمشق (712هـ/1313م-740هـ/1340م). كما أقيمت الخانات فى غزة؛ ومنها السبيل الذى أنشأه سنجر بن عبد الله الجاولى (653هـ/1255م-745هـ/1344م) ولى نيابة غزة بعد ولايته نيابة حماة سنة (728هـ/1327م)، وذكر العسقلانى أنه بنى خانا بقرب اللد، وخانا بحمرة سنان<sup>(84)</sup>.

وكذلك فى صور وصيدا وعكا، كانت الخانات تؤدى الوظيفة نفسها التى تؤديها القيساريات والوكالات والفنادق، فهى تتشابه معها فى مهمة النزول، وإقامة التجار ودورها فى تسهيل عمليات البيع والشراء<sup>(85)</sup>، وضمت بيروت مجموعة من الخانات، كان يستخدمها الحجاج المسيحيون عند نزولهم بها، كما كان ينزل بها التجار الأوربيون، خاصة القادمين من الجمهوريات الإيطالية<sup>(86)</sup>، إضافة إلى ما أقيم من خانات داخل مدينة بيروت لخدمة التجار والحجاج والمسافرين بشكل عام.

وكان الخان يضم جميع الخدمات التي يحتاج إليها المسافر؛ ففيه مستودعات لخزن البضائع، واسطبلات لمبيت الحيوانات والعناية بها، إضافة إلى ذلك وجد في الخان حوض يقع وسط الصحن، ومشرب للمواكب، وسوق صغير، وفرن ومصلى<sup>(87)</sup>. ووجد مثل هذا النوع من الخانات جانبي الطرق؛ النوع الأول يسمى الرباط (أى فندق للمسافرين)، والآخر الخان الذى بنى على الطرق الرئيسية لاستراحة التجار. وقد أدت وظيفة الفنادق في الموانئ بالنسبة إلى الأجانب الغربيين<sup>(88)</sup>، وازداد عدد هذه الخانات في خلال القرن الخامس عشر، وبلغت أوجها في القرن السادس عشر؛ ومن أمثلتها الخان الذى أنشئ بين صيدا ودمشق وعرف بخان ميسلون<sup>(89)</sup>، وخان بين صيدا وبيروت<sup>(90)</sup>، وخان بين طرابلس وبيطك<sup>(91)</sup>، وخان بالقرب من طرابلس<sup>(92)</sup>. ولم تقتصر على الخانات الداخلية التي ربطت بلاد الشام، ولكن وجدت خانات ربطت بلاد الشام بالبلدان المجاورة؛ مثل خان يونس بين غزة ومصر<sup>(93)</sup>.

#### رابعاً- الأسواق:

من العوامل الأخرى التي ساعدت على تنشيط التجارة والصناعات الحرفية المملوكية، ودفعت التجار من مختلف الجنسيات للإقبال على التعامل مع الدولة المملوكية، كثرة الأسواق المنتشرة في الموانئ الشامية وغناها وتنوعها.

وشهدت الأسواق الشامية المنتشرة في الموانئ الشامية ازدهارا كبيرا بعد إغلاق العثمانيين للطريق التجاري البرى من وسط آسيا الصغرى إلى أوروبا وبلاد الشام، بسبب حروب بين العثمانيين والدولة البيزنطية، والصفويين وبلاد القرم؛ وكذلك ركز المماليك على توفير الأمن والاستقرار في خلال الحراسة المشددة للموانئ الشامية، ووسّعوا مجال التجارة فيها لاستقبال أكبر عدد ممكن من التجار الأجانب<sup>(94)</sup>.

وكانت الأسواق ثلاثة أنواع: محلية، وموسمية، وسنوية<sup>(95)</sup>. ومعظم أسواق الشرق الداخلية كانت محلية، وغالبا ما تكون متخصصة في سلع معينة<sup>(96)</sup>، أما الأسواق الموسمية فكانت تعقد في موسم ورود السلع الواردة من الشرق، خاصة الهند والصين؛ مثل التوابل والبهارات إلى أسواق بلاد الشام. ومواعيدها سنوية ثابتة لا تتغير. وتخضع لمواعيد هبوب الرياح الموسمية<sup>(97)</sup>. وتصل هذه السلع إلى الموانئ في بلاد الشام في أوقات الحج؛ إذ يتزامن وصولها مع وصول السفن الأوروبية لتحمل هذه السلع إلى الغرب في أواخر فصل الخريف، وقبل بدء فصل الشتاء<sup>(98)</sup>. وفي خلال الفترة الواقعة بين وصول هذه السلع وإعادة شحنها إلى الموانئ الأوروبية، كانت تقام أسواق تجارية في بيروت وطرابلس وعكا وصور وغزة<sup>(99)</sup>. وكان هناك أسواق سنوية تعقد بشكل يلائم التجار الأوروبيين، وعادة ما

تكون ربع سنوية وفي خلال أوقات تستثنى فترات الأعياد، وكان منها أسواق طرابلس التي وصفت بأنها جميلة ونظيفة، حتى كان كل سوق منها قصر مزين<sup>(100)</sup>، وكان بعضها على شكل أروقة، وكان بعضها الآخر مسقوفا بالأخشاب فيستطيع المتسوق أن يتجول في السوق بدون أن يبتل بماء المطر؛ ولذلك وصفت بأنها عجيبة وجميلة، وكان من أسواقها أيضا: سوق الحراج، وسوق السلاح، وسوق العطارين<sup>(101)</sup>. كما انتشرت الأسواق في بيروت التي شهدت نشاطا تجاريا في خلال هذه الفترة. وبلغت ذروة هذا النشاط في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع والخامس عشر الميلاديين؛ إذ تفوقت بيروت على سائر الموانئ الأخرى في بلاد الشام، وكانت تمثل الشريان الحيوي الرئيسي لصادرات دمشق ووارداتها<sup>(102)</sup>، وأسهم ذلك في تجديد أسواقها التي وصفت بالحسن والجمال.

أما أسواق عكا فقد وصفها (فون سوخم) بشكل يثير الدهشة والإعجاب فقال: "كانت مظلة بالحريز وغيره من القماش الثمين"<sup>(103)</sup>. وفي صيدا وجد عدد من الأسواق، خاصة بعد ازدياد نشاطها التجاري، وأصبحت الميناء الثاني لدمشق بعد ميناء بيروت. وذكر المؤرخ المعاصر ابن شاهين أن صيدا: "مدينة لطيفة على شاطئ البحر المحيط، ترد إليها المراكب، وهي إقليم ينوف عن مائتي قرية"<sup>(104)</sup>. وكان في صور أسواق لا تقل أهمية عن أسواق صيدا، وقد شاهدها (خسرو)، فكانت متعددة الأصناف وجميلة<sup>(105)</sup>، وضمت غزة مجموعة من الأسواق فتحت أبوابها للتجار الأجانب وتجار المدن الشامية، فانتسعت أسواقها، وراجت تجارتها<sup>(106)</sup>.

#### خامسا - الوكالات:

وهي من المنشآت التجارية التي أقيمت في بلاد الشام لخدمة التجارة الداخلية والخارجية، وأطلق عليها (دار الوكالة) أو (دار الطعام)، وسميت كذلك مخزن التجار<sup>(107)</sup>. وقد عرفت هذه المباني في العصر الفاطمي، وازداد عددها في عهد المماليك؛ إذ قام كثير من الأمراء المماليك بتحويل قصورهم إلى وكالات تجارية من أجل تأجيرها بأسعار عالية<sup>(108)</sup>. والوكالات أماكن واسعة في وسطها ساحة، وتنتشر على سطحها غرف عرفت بـ(الرباع)، خصصت لينام فيها التجار<sup>(109)</sup>.

وترجع أهمية الوكالات إلى أنها تنظم إداري تجاري ساد في العصور الوسطى في منطقة شرق البحر المتوسط، ومعظم العاملين فيها من الشباب الذين يهتمون بزيادة ثرواتهم أو كسبهم<sup>(110)</sup>.

وتشبه الوكالة الفندق، من حيث نظامها، وتختلف في أمرين؛ الأول: أن الوكالة مخصصة لنزول التجار الشرقيين الوافدين من المشرق الإسلامي؛ في حين أن الفنادق كانت مخصصة لإيواء التجار الأجانب القادمين من الغرب الأوروبي<sup>(111)</sup>.

والآخر: أن الوكالات من المرافق الأهلية التى تعود ملكيتها إلى فرد أو مجموعة أفراد، وتنتقل ملكيتها من الآباء إلى الأبناء والأحفاد، فى حين كانت الفنادق مرافق حكومية، وهى بهذه الصفة ملكية عامة للدولة. ولكل وكالة وكيل يدعى وكيل التجار أو صاحب دار الوكالة.

### مهام وكيل التجار أو صاحب دار الوكالة:

تتلخص فى الإشراف على التجار الأجانب، وسلعهم التجارية، وتخزين سلع الزبائن وبيعها، فى حالة عدم مرافقة التاجر لبضائعهم، أو تكليف تاجر آخر ليحل محله ويقوم بأعماله.

والتخزين والتسويق من اختصاص صاحب دار الوكالة الذى يقوم أيضا بتأمين ثمن البضاعة لأصحابها، ويقوم مقام الصيرفى فى هذه الحالة؛ إذ كان التجار الأجانب يودعون أموالهم لدى الصيرفى مقابل أن يدفع لهم ما يساويها من عملة بلادهم، ولدوره هذا علاقة بقناصل الدول الأجنبية فى المدن والموانئ الشامية<sup>(112)</sup>.

وعادة ما تباع السلع القادمة من الخارج نقداً أو بأجل؛ فإذا بيعت بأجل يزداد ثمن السلعة، ويجنى صاحبها ربحاً وفيراً؛ وهو ما يتسبب فى حدوث ضرر للمستهلك<sup>(113)</sup>، لذلك حرص السلاطين على عدم البيع بهذه الطريقة؛ لارتفاع الأسعار<sup>(114)</sup>.

وإلى جانب وكيل التجار كان هناك موظف آخر عرف بـ(شاد دار الطعم)، وهو موظف مسئول عن جمع البضائع المكسدة والسلع المباعة فى هذه الدار<sup>(115)</sup>. وفى أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادى، تطورت الوكالات من مراكز للتخزين والبيع والشراء، إلى مجموعة أبنية تشكل حياً، وكان عدد المقيمين الأجانب الغربيين فيها قليلاً فى البداية؛ ولما ازداد عددهم، ونشطت تجارتهم، أخذوا ينزلون فى الفنادق، وأصبح لكل جالية منهم حى خاص عرف باسمها، وضم هذا الحى، إضافة إلى الوكالة، فندقاً ومخبزاً وحماماً وكنيسة، وعرفت هذه المجموعة من المباني المدنية بالمستعمرة، وكان للمقيمين فيها الحق فى ممارسة حياتهم بحرية تامة<sup>(116)</sup>. وانتشرت الوكالات فى جميع الموانئ الشامية؛ ففى طرابلس كان عدد من الوكالات التجارية الأجنبية يعود إلى التجار البنادقة والجنوبيين والقطالونيين<sup>(117)</sup>. وفى بيروت أقيم عدد من الوكالات، كان من أهمها وكالة البندقية<sup>(118)</sup>، وانتشرت وكالات فى صور وصيدا وعكا<sup>(119)</sup>، وفى غزة أنشئت وكالة تعود ملكيتها إلى رهبان دير سانت كاترين<sup>(120)</sup>.

ويشار هنا إلى أن دور المدن الأوروبية المشاطئة للبحر الأبيض تجارياً كان فى مجال الوساطة بين تجار أوروبا وتجار آسيا خاصة، والمشرق عامة. ويمكن

القول إن انتشار الوكالات التجارية فى معظم الموانئ والمدن الشامية؛ إنما يدل على الازدهار الذى شهدته الحركة التجارى فى الموانئ الشامية، فى خلال تردّد التجار على تلك الموانئ للحصول على السلع الشرقية، وبيع المنتجات الأوروبية.

### النشاط الصناعى والحرفى فى الموانئ الشامية:

شهدت بلاد الشام نشاطا صناعيا ملحوظا فى خلال العصر المملوكى، ويعود ذلك إلى وفرة الموارد الأولية بكميات كبيرة لازمة للصناعة، ووجود الأيدى العاملة الماهرة والمدربة على إنتاج السلع الصناعية، إضافة إلى الرعاية التامة والتشجيع المستمر من جانب السلاطين المماليك؛ وهو ما أسهم فى ازدهار الصناعة والحرف.

لذلك أقيمت المصانع فى الموانئ الشامية التى اشتهرت بأنواع عدة من الصناعات منذ العصور الوسطى، واستمر بعض منها قائما حتى العصر المملوكى، وكان بعضها يعتمد على الإنتاج النباتى، وبعضها الآخر على الإنتاج الحيوانى، إضافة إلى الصناعات المعدنية.

### الصناعات القائمة على الإنتاج النباتى والحيوانى:

#### أولا- صناعة السكر:

يعد السكر من الصناعات المهمة التى عرفها العرب، واستخدموه فى طعامهم، كما استخدموه علاجا، ودخل فى صناعة الأدوية والعقاقير الطبية<sup>(121)</sup>. وفى خلال السنوات التى سبقت الحروب الصليبية لم يرد ذكر لصناعة السكر، وكانت هناك إشارات إلى زراعته فى بلاد الشام، وكان الأوروبيون قبل القرن الثانى عشر الميلادى يستخدمون العسل فى تحلية أطعمتهم، وفى تركيب الوصفات الطبية<sup>(122)</sup>. وفى القرنين الثانى والثالث عشر الميلاديين، ومنذ سيطرة الصليبيين (الفرنجة) على الساحل الشامى؛ عرفت زراعة قصب السكر فى بلاد الشام محاولات لاستخراج السكر من القصب، فأقيمت مصانع للسكر فى موانئ عكا، وبيروت وصور وصيدا، وغيرها من موانئ بلاد الشام<sup>(123)</sup>.

ولاهتمام الفرنجة بزراعة السكر وصناعته، نقلوه إلى أوروبا فى أثناء حروب الفرنجة. وقد عمل الإمبراطور فريدريك الثانى على نقل عدد من صناع الشام وأنزلهم جزيرة قبرص<sup>(124)</sup>. فقد ذكر مؤرخون معاصرون منهم الاصطخرى والإدريسى وأبو الفداء أن مراكز صناعة السكر وتجارته كانت موجودة فى طرابلس وعكا وصيدا وصور<sup>(125)</sup>. وصدر الفرنجة كميات كبيرة منه إلى الغرب الأوروبى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر<sup>(126)</sup>.

واستمرت هذه الصناعة قائمة فى الفترة المملوكية؛ وكانت من أهم الموارد التى دعمت الاقتصاد المملوكى؛ إذ تشير المصادر إلى أن السواحل الشامية لعبت

دورا مهما في زراعة قصب السكر<sup>(127)</sup>، وأشار المؤرخون المعاصرون إلى ازدهار هذه الصناعة ازدهارا كبيرا في بلاد الشام في هذه الفترة خلال كميات السكر الكبيرة المستهلكة في الاحتفالات، ومن في خلال الشحنات التي تقدم دليلا على الكميات الكبيرة المصدر من السكر إلى مدينة البندقية ومرسيليا وبرشلونة<sup>(128)</sup>. ويعزى سبب ازدهار هذه الصناعة إلى توافر مادتها في سواحل طرابلس وبيروت وعكا وصور ودمشق والأغوار<sup>(129)</sup>. فقد كانت طرابلس من المناطق المهمة في صناعة السكر، واشتهرت صناعتها بالجودة ونقاء السكر<sup>(130)</sup>. وقد صدرت مع مدينة دمشق السكر إلى الغرب الأوروبي بأشكال مختلفة؛ منها السكر الناعم، أو على شكل دقيق، أو رقائق وعلى شكل حلوى<sup>(131)</sup>.

وفي عكا بلغت صناعة السكر في العصر المملوكي أوجها؛ فأقيمت معاصر السكر<sup>(132)</sup>. وكان تجار الغرب الأوروبي يستوردون السكر من صور وبيروت أيضا بكميات كبيرة، واستخدمت عدة طرق لعصر السكر في الفترة المملوكية. ويمكن القول إن السكر أصبح من السلع التصديرية الرئيسة من سوريا إلى الغرب الأوروبي<sup>(133)</sup>.

وكان السكر يعصر ثم يركز باستخدام حرارة النار، ثم يجفف حتى يتشكل في بلورات سكرية ثم يباع، أو يطحن أو يكرر أو يشكل في قوالب، وكانت زراعة السكر مزدهرة في صور؛ حتى إن فريدريك الثاني طلب عمالا يرسلهم إلى باليرمو، وكانت سوريا الطبيعية هي المصدر الرئيسي لتموين الغرب بالسكر، وكان أهالي المناطق الواقعة على البحر المتوسط يعرفون العمليات الرئيسية لتكرير السكر وتركيزه وبلورته وصياغته في قوالب مختلفة الكثافة والنوعية<sup>(134)</sup>.

### ثانيا- صناعة الزيت والصابون:

ترتب على ازدياد عدد أشجار الزيتون في حوض البحر المتوسط الذي يلائم هذه الزراعة في بلاد الشام، ووفرة الإنتاج من الزيت، أن أنشئت معاصر للزيتون في العصر المملوكي بهدف استخراج الزيت<sup>(135)</sup>، وأقيم في عكا نحو أربعة وعشرين معصرة، وأقيمت معاصر في بيروت وصيدا<sup>(136)</sup>.

وساعد على قيام صناعة الصابون هذا الإنتاج الوفير من زيت الزيتون، كما أن توافر مادة الصودا الكاوية أو البلس أو القلى من المادة التي تستخدم من نبات يطلق عليه الأشنان يتم حرقها وتحويلها إلى رماد، ثم تستخدم في صناعة الصابون، وعرفت بأنها (عشبة الصابون)، كانت متوافرة في بلاد الشام<sup>(137)</sup>.

وكانت صناعة الصابون من أكثر الصناعات نجاحا في بلاد الشام، وبقيت

مزدهرة في خلال العصر المملوكي، وتطورت فنياً؛ إذ أصبحت مصانع الصابون في طرابلس تُشكله بأشكال مختلفة، وأقيم خان خاص يعرف بخان الصابون<sup>(138)</sup>.

وازدهرت صناعة الصابون في بيروت، واستخدمه الأمراء فيها، وكانت تصدره إلى مصر<sup>(139)</sup>، وقد استوردته غزة التي كانت تصدر إلى بيروت الرمامد المستخدم في هذه الصناعة<sup>(140)</sup>. وقد صدرت سلعة الصابون إلى أوروبا من خلال الموانئ في بلاد الشام، خاصة بيروت وطرابلس وعكا.

### ثالثاً- صناعة المنسوجات:

من الصناعات التي راجت واشتهرت بها مدن السواحل الشامية، صناعة المنسوجات بمختلف أنواعها: الحريرية والقطنية والكتانية والصوفية؛ وكانت هذه الصناعات من السلع التجارية خاصة الحريرية منها. وقد ساعد على ازدهار هذه الصناعة كثرة أشجار التوت التي تتغذى عليها دودة القز، لذ توفر شرائق الحرير<sup>(141)</sup>. وكانت بلاد الشام قد أخذت هذه الصناعة من بلاد الشرق الأقصى، في فترة سابقة، ولكنها ازدهرت في العصر المملوكي، ووجدت مراكز صناعية في صور وصيدا وعكا وغزة وبيروت<sup>(142)</sup>.

وعندما سيطر الفرنجة على الساحل الشامي دهشوا من صناعة المنسوجات الحريرية، وأعجبوا بها، وتعلموا صناعتها، وبدأوا في التقليد. وقد عرفت أوروبا هذه الصناعة عن طريق التجارة مع البحر الأبيض المتوسط. وأصبحت فيما بعد تتقن هذه الصناعة<sup>(143)</sup>.

وكانت من مراكز هذه الصناعة في المدن الشامية مدينة صور التي اشتهرت بالمنسوجات الحريرية المعروفة بلون "الأرجوان الصوري". وكانت مدن جنوة والبندقية تستورد الحرير من صور ومن صيدا، ثم عكا التي اشتهرت بصناعة الحرير المسبك المعروف بالمقصب<sup>(144)</sup>. وقد استخدمت الخيوط المذهبة في حياكة هذا الحرير<sup>(145)</sup>.

وعرفت طرابلس وبيروت هذه الصناعة، وأدهشت صناعة الحرير في طرابلس الأمراء الفرنجة الذين كانوا يطعمون في تحقيق الثروة في خلال غزو الشرق والسيطرة على أماكن الحج المسيحي فيه. وقد أثار وجود نحو أربعة آلاف مصنع لنسيج الحرير في طرابلس شهيتهم، وأصبحت هذه السلعة من السلع الرئيسية المصدرة إلى أوروبا بعد زيادة قدرة المدن الشامية على صناعتها<sup>(146)</sup>.

وقد حرصت مراكز الصناعة الحريرية على استخدام الزخرفة الإسلامية في

تزيين المنسوجات الحريرية<sup>(147)</sup>. وقدر عدد الأنوال فى طرابلس بأربعة آلاف نول، عمل فيها نحو ألف ومائتى حائك. ولازدهار هذه الصناعة فقد تحول خان الخياطين إلى خان للمشتغلين بصناعة الحرير وتجارته (خان الحريريين)، وشيدت معامل جديدة لصناعة الأقمشة<sup>(148)</sup>.

والى جانب الصناعات الحريرية عرفت صناعة المنسوجات القطنية، ونالت إعجاب أمراء الفرنج، فحملوا منها كثيرا إلى بلادهم<sup>(149)</sup>. وقد اشتهرت بيروت وعكا بتصديرها إلى أوروبا<sup>(150)</sup>، ولكنها تراجعت تجارتها بعد استعادة الموانئ البحرية فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر، عندما دمرت؛ وهو ما وجه ضربة عنيفة، انعكست على هذه الموانئ، خاصة بعد أن حظر على تجار بلاد الشام النزول إلى ميناء فماجوستا فى قبرص، وميناء إياس (لاجازو) لبيع بضائعهم. غير أن التجار الأوروبيين استأنفوا رحلاتهم التجارية إلى طرابلس وبيروت وعكا فى نهاية هذه الفترة لشراء كميات كبيرة من القطن<sup>(151)</sup>.

وظلت هذه الصناعة قائمة فى المنطقة الساحلية، فكانت المراكب الشراعية تؤمها بصورة منتظمة لشحن القطن<sup>(152)</sup>. وخصصت المدن الإيطالية خاصة البندقية سفنا خاصة تتردد كل عام على ميناء صور وصيدا لنقل القطن، وكان على متنها وكلاء لتسهيل إجراءات الشحن<sup>(153)</sup>.

وفى طرابلس تردد التجار الأوروبيون عليها بأعداد كبيرة لاستيراد منتجاتها القطنية. وبالرغم من أن نفقات استيراد القطن، من بلاد الشام التى تكبدها التجار الأوروبيون، كانت أكبر من التى أنفقوها على شراء التوابل، فقد كانوا يدفعون أجور التخليف وإيجارات المستودعات وتكاليف الشحن<sup>(154)</sup>.

أما المنسوجات الصوفية فكانت أهم مراكز صناعتها طرابلس، وكانت تعتمد على الأصواف التى توفرها قطعان الماشية<sup>(155)</sup>. وكانت هناك صناعات صوفية فى صدد وعكا وصور<sup>(156)</sup>.

وكانت المنسوجات الكتانية قد اشتهرت فى معظم مدن الساحل الشامى حيث تجود زراعته وصناعته، خاصة فى طرابلس وصور. وكان التجار الأوروبيون يشترون كميات كبيرة من هذه الموانئ<sup>(157)</sup>.

#### رابعا- صناعة الزجاج:

كانت صناعة الزجاج من الصناعات التى ازدهرت ازدهاراً ملحوظاً فى مدن الساحل الشامى، وكانت تعتمد على الرمل الزجاجى. واشتهرت صور وصيدا وبيروت وطرابلس وعكا وغزة بإنتاج هذه المادة<sup>(158)</sup>. وظلت هذه المدن محتفظة



بشهرتها في خلال العصر المملوكي<sup>(159)</sup>. واحتل الزجاج الذي كان يصنع في صور المعروف بـ(الصوري) المرتبة الأولى في جودته وتميزه بالشفافية والنقاء؛ ويعود ذلك إلى اعتماده على صناعات مهرة<sup>(160)</sup>. وقد وصف الإدريسي زجاج صور وأضاف أن شهرته عمت العالم<sup>(161)</sup>. ووجدت صناعة الزجاج في صيدا القريبة من صور، كما اشتهرت عكا وطرابلس بصناعة الزجاج الذي كان يصدر إلى أوروبا بوساطة التجار الإيطاليين<sup>(162)</sup>.

وازدهرت صناعة الزجاج في ظل احتلال الفرنجة للسواحل الشامية، واعتنى الفرنجة بهذه الصناعة، وتفننوا في صناعة الأدوات الزجاجية، وزجاج المباني، والأكواب المطلية بالمينا، ونقلوا هذه الصناعة إلى أوروبا<sup>(163)</sup>.

وعدت صناعة الزجاج في العصر المملوكي من الصناعات الوطنية الرئيسية في المنطقة الساحلية، وبلغت أوجها في خلال هذا العصر، فامتألت الأسواق الشامية بالمصنوعات الزجاجية والتحف البلورية المموهة بالذهب والمينا، ولاقت رواجاً كبيراً في الأسواق الأوروبية.

وعرفت مدن الساحل الشامي بصناعة الخزف، وهي صناعة تقليدية فنية يدوية قديمة، اشتهرت بها منذ القدم<sup>(164)</sup>. واشتهرت مدينتا صيدا وصور بهذه الصناعة، وقد اشتهرت طرابلس ببراعة صناعاتها في صناعة المصابيح، والمصاغات والكؤوس والأباريق المصنوعة من الخزف<sup>(165)</sup>.

وفي خلال سيطرة الفرنجة على مدن الساحل، وفي فترات السلم، أتاحت فرصة كبيرة لبيع السلع الصناعية الشرقية، ومنها الخزف في الأسواق الأوروبية، في ظل ازدياد التبادل التجاري بين أوروبا والمشرق الإسلامي، وازداد الطلب على الأواني الخزفية، ومنها أطباق الطعام، أو صناعة الجرار الكبيرة التي استخدمت لحزن زيت الزيتون والنبيد، وجرار لحزن الماء، وبعضها تميز بأشكاله المخروطية<sup>(166)</sup>.

وفي فترة لاحقة اشتهرت مدن صور وطرابلس وبيروت بهذه الصناعة، وازداد الطلب الأوروبي على الأواني الخزفية المصنوعة في بلاد الشام؛ لتمييزه ونقاوته وشدة صلابته، برغم ارتفاع أسعاره، وحُمِلَ إلى أوروبا<sup>(167)</sup>.

#### خامساً - صناعة المراكب:

عرفت صناعة المراكب في المدن الساحلية الشامية منذ أقدم العصور، واستمرت في العصور الوسطى حتى العصر المملوكي، وقد ساعد على قيامها في تلك المدن موقعها الجغرافي حيث قربها من غابات الأرز المنتشرة في جبال لبنان التي تشكل مصدراً مهماً للأخشاب اللازمة لصناعة السفن.

وتعد صيدا من المدن التى اشتهرت بهذه الصناعة، وكانت تمتلك دارا للصناعة، وكان أهل صيدا يقطعون أخشاب الأرز من أعالي جبال لبنان، ويلقون بها فى مجارى الأنهار، فتجرفها المياه إلى مصاب الأنهار، حيث تنتشل لاستخدامها فى صناعة السفن<sup>(168)</sup>.

وكانت صور وعكا أيضا تمتلكان مراكز مهمة لصناعة السفن؛ إذ تم تدشين كثير من السفن الحربية والخفيفة السريعة الحركة فى دور صناعتها للسفن، وصنعت السفن التجارية<sup>(169)</sup>. وبقيت صناعة السفن قائمة فى بيروت وطرابلس<sup>(170)</sup>.

وحظيت السفن الحربية بعناية السلطنة المملوكية؛ إثر طرد الفرنجة من السواحل الشامية؛ للتصدى لغاراتهم التى كانت تهدد الموانئ الشامية. ومما يدل على زيادة اهتمامهم بهذه الصناعة أن نائب طرابلس صنع مراكب بلغت قيمتها أربعين ألف درهم دفعها من ماله<sup>(171)</sup>.

وبعد حملة بطرس لوزجنيان (De Lusignans, peters I)<sup>(172)</sup> على الإسكندرية سنة (767هـ / 1365م)؛ أمر الأمير بليغا<sup>(173)</sup> الأتابك ببناء السفن فى السواحل الشامية، وكتب إلى طرابلس وغيرها من مدن الساحل لعمارة أعداد من السفن المعروفة "الشواتى والحمالات"، وجمع رجالها، فكان ذلك عملا جليلا<sup>(174)</sup>. ولم يقتصر دور طرابلس على صناعة المراكب؛ بل أسهمت سفنها الحربية فى أعمال عسكرية ضد الفرنجة فى قبرص سنة (827هـ / 1424م)؛ إذ شارك غراب كبير<sup>(175)</sup> فى هذا الهجوم<sup>(176)</sup>.

ومع استمرار تهديدات الفرنجة للسواحل الشامية، أمر السلطان المملوكي الأشرف شعبان (تسلطن 764هـ / 1363م - 778هـ / 1376م) بالإسراع فى بناء أسطول لوضع حد لتلك الغارات، وأرسل الأمير بليغا إلى بيروت "ليعمّر من حرشها مراكب كثيرة، حمالات وشواتى لغزو قبرص"، فأحضر إلى بيروت صناعات كثيرا من سائر الممالك. وعمّرت مسطبة فى بيروت كانت توضع عندها المراكب على بعد ميلين من البحر، وأحضروا الحديد والأخشاب<sup>(177)</sup>، وكان اختيار بيروت لهذه الصناعة بسبب توافر الصنوبر فى جبالها من جهة، وتوافر الحديد بالقرب منها من جهة أخرى<sup>(178)</sup>.

#### سادسا- صناعات أخرى:

هناك صناعات أخرى عرفت موانئ الساحل الشامى فى خلال العصر

المملوكي؛ منها:

صناعة الخمر التي ساعد على ازدهارها انتشار زراعة الكرمة، في أغلب أنحاء بلاد الشام الداخلية والساحلية<sup>(179)</sup>، واشتهرت غزة في العصر المملوكي بصناعة الخمر، ووصفها أبو الفداء بأنها مدينة ذات بساتين، وكروم خصبة<sup>(180)</sup>، كما أشار ابن إياس إلى أن السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسن ابن الناصر محمد (764هـ/ 1362م-778هـ/ 1376م) عندما سافر إلى الحجاز "أشيع أنه حمل معه نبيذا غزاويا"<sup>(181)</sup>.

كما تميز نبيذ طرابلس بجودة مذاقه<sup>(182)</sup>، وقد اختص النصارى واليهود بعصر العنب وبيعه<sup>(183)</sup>، كما سمح المماليك لجاليات الفرنجة في طرابلس بالتبادل التجاري للخمر مقابل دفع ضريبة عرفت بضمان التمر في طرابلس والمناطق الساحلية<sup>(184)</sup>.

ومن الصناعات التي وجدت في المدن الساحلية صناعة الورق<sup>(185)</sup> والصناعات المعدنية كصناعة الأسلحة؛ منها: السيوف وآلات الحرب والقوس والنشاب التي كانت تصنع من الحديد<sup>(186)</sup>.

### العوامل التي أثرت في التجارة الداخلية:

#### أولاً- الأمراض الوبائية الخطيرة مثل الطاعون:

وقد صورّه المؤرخ المعاصر المقرئزي بأنه يبدأ بأن: "يخرج خلف أذن الإنسان بثرة، فيخر الإنسان صريعاً، ثم صار يخرج للإنسان كبة تحت أبطيه، فلا يلبث أن يموت سريعاً، ثم خرجت بالناس خياراً فقتلت قتلاً كثيراً. وأقاموا على ذلك مدة، ثم بصقوا الدم، فاشتد الهول من كثرة الموتى، حتى إنه أكثر من كان يعيش، بعد نفث الدم، نحو خمسين ساعة"<sup>(187)</sup>.

وأما موعد ظهور المرض فكان في وقت الربيع في أغلب الأحيان، وفسّر الأطباء المعاصرون ذلك بأنه بسبب زيادة سيلان الأخلاط في الربيع، وجمودها في الشتاء<sup>(188)</sup>.

وعرفت بلاد الشام بكثرة طواعينها، حتى إن بعضهم عدّه أحد عيوبها<sup>(189)</sup> لتكرار حدوثه، ونادراً ما كان يمر عام من الزمان حتى يظهر به هذا المرض في ناحية من نواحي السلطنة المملوكية<sup>(190)</sup>.

وفي خلال الفترة الواقعة بين عامي (749هـ/ 1348م و751هـ/ 1352م) فشى الطاعون في بلاد الشام، وتأثرت المدن الساحلية أكثر من المدن الداخلية، وشملت المناطق التي فتك بها الطاعون صور وصيدا وبيروت وطرابلس وعكا

وغزة، وذكر أنه قتل في غزة اثنين وعشرين ألفا في شهر، وأصبحت الخانات ملأنة بجيف الموتى<sup>(191)</sup>.

وذكر القزويني وصفا لحوادث الموتى بسبب الطاعون وسرعة فتكه بالناس فقال: "كان الرجل يوجد ميتا والمحراث في يده، ويوجد آخر قد مات وفي يده ما يبذره"<sup>(192)</sup>.

وفي سنة 790هـ/ 1388م عم الطاعون البلاد الشامية، وكان قد بدأ في مصر، ثم انتشر في غزة والقدس ثم دمشق<sup>(193)</sup> وطرابلس، حيث كان يموت يوميا نحو خمسين<sup>(194)</sup>. وفي سنة 813هـ/ 1410م وقع الطاعون بالشام وطرابلس، وعم جميع الساحل، وفتك بأهله؛ حتى إنه أخلى دورا كثيرة، ومات من الناس ما لا يحصى<sup>(195)</sup>. وفي سنة 819هـ/ 1416م انتشر الطاعون في بلاد الشام وجميع المدن الساحلية، وأحصى في طرابلس، أنه مات بها في عدة أيام عشرة آلاف إنسان؛ ولم يبق من أهلها إلا القليل<sup>(196)</sup>. وفي عام 826هـ/ 1423م انتشر الطاعون في بلاد الشام، فكانت مدينة غزة من بين المناطق التي شملها؛ إذ كان يموت فيها كل يوم ما يزيد عن مائة إنسان<sup>(197)</sup>. وفي عام 841هـ/ 1437م، وقع الطاعون بالشام وغزة، ومات في خلال شهر اثنا عشر ألف شخص<sup>(198)</sup>.

ومما سبق يتضح أن هذا الوباء أودى بحياة أعداد كبيرة من الناس، ونجم عنه أضرار سلبية على الحياة الاقتصادية وعلى إنتاجية بلاد الشام، خاصة أن الناس هم عماد الحركة الاقتصادية، وهم الذين يفلحون الأرض، ويجنون المحاصيل<sup>(199)</sup>.

وتضررت الصناعة نتيجة وفاة أعداد كبيرة من الصناع والعمال، فتضاءل الإنتاج، وكان لذلك أثر سلبي في التجارة، فنفدت السلع من الأسواق؛ لعدم وجود من يحملها أو ينقلها، وتقلصت نتيجة ذلك التجارة الداخلية والخارجية؛ وهو ما أدى إلى تضاؤل موارد الدولة المالية، ودفعها إلى الاقتراض من التجار لتمويل حملاتها العسكرية<sup>(200)</sup>.

### ثانيا- الزلازل:

وتنتج الزلازل؛ بحسب مؤرخ معاصر، عن الأبخرة والرياح المحتقنة في باطن الأرض؛ إذ تكون مادتها كثيرة، ولا تقبل التحلل على أدنى درجة حرارة؛ أما وجه الأرض فيكون صلبا، ليس فيه أية منافذ أو مسام تخرج الأبخرة أو الرياح المحتقنة من خلالها؛ فإذا خرجت تهتز الأرض وتضطرب، وتبقى على تلك الحالة حتى تخرج تلك الأبخرة، فإذا انتهت تعود الأرض إلى السكون<sup>(201)</sup>.

ففي عام 692هـ/ 1293م تعرضت غزة لأكثر من زلزال فتقلقل عدد من

المنشآت العمرانية فيها<sup>(202)</sup>. وفي عامي 730هـ/ 1330م و703هـ/ 1304م ضرب زلزال جميع أنحاء سوريا، فهلك عدد لا يحصى من الناس، كما دمر جزء من قلعة صفد<sup>(203)</sup>، وفي عام 730هـ/ 1330م تعرضت طرابلس الشام لزلزال تسبب في وفاة عدد كبير من الناس؛ إذ انتشلت ستون جثة من تحت الردم<sup>(204)</sup>.

وتعرضت بلاد الشام لزلزال عنيف سنة 741هـ/ 1340م، نجم عنه غرق عدد كبير من المراكب في طرابلس، وتهدم كثير من العماائر، ووجدت أعداد لا تحصى من البشر تحت الردم<sup>(205)</sup>. وتوالت الزلازل على بلاد الشام، ودمر كثير من مدنها، وتعرضت صفد لزلزال سنة 768هـ/ 1366م<sup>(206)</sup>، وضرب زلزال آخر بلاد الشام سنة 772هـ/ 1370م، وهدم عمائر كثيرة، واضطرب البحر، وأغرقت سفن وعدد لا يحصى من الناس<sup>(207)</sup>.

وفي سنة 806هـ/ 1403م وسنة 811هـ/ 1408م تأثرت طرابلس وجميع مدن الساحل بزلزال عنيف، نجم عنه هدم مباني وعمائر كثيرة، وشهد البحر موجا عاليا أغرق عددا لا يحصى أيضا من الناس.

ويتضح مما سبق أن الزلازل أودت بحياة أعداد كبيرة من الناس، كما دمر كثيرا من العماائر؛ وهو ما ترك أثرا سلبيا في الجوانب البشرية والعمرانية والحضارية. وإضافة إلى ذلك فإن موت أعداد كبيرة من الناس وتدمير كثير من العماائر، ومنها المنشآت التجارية سبب ضررا كبيرا لحركة النشاط التجاري الداخلي، كما أن غرق السفن أثر في التجارة البحرية خاصة مع أوروبا.

### ثالثا- الحرائق:

لم يكن عامل الحرائق يقل عن غيره من العوامل الأخرى في تأثيره السلبي في التجارة الداخلية وحركة النشاط التجاري الخارجى؛ فقد أتلقت الحرائق كثيرا من المحاصيل الزراعية، والأشجار المثمرة، إضافة إلى تدمير كثير من المنشآت التجارية التي تعد أساسية في أى نشاط تجارى. وقد أسهمت الحرائق في اضمحلال بعضها، أو توقف النشاط التجاري لبعضها الآخر.

وتعرضت المنشآت التجارية في معظم المدن الشامية للدمار والخراب بفعل الحرائق التي نشبت نتيجة عوامل عدة، وبشكل متكرر، وكانت أسواق دمشق التي تعد السوق الرئيس الذي يزود بقية أسواق المدن والموانئ الشامية بالسلع الشرقية؛ أكثر عرضة للاحتراق، ففي سنة 681هـ/ 1282م وقع حريق ضخم في دمشق، واحترقت أسواقها المتخصصة التي منها سوق الدجاج، وسوق المرجان، وسوق اللبابيد، كما احترقت بعض القياسر، ودفعت خسائر مالية لا تحصى<sup>(208)</sup>.

وفى سنة 735هـ / 1334م، وقع حريق فى حماه، نتج عنه حرق مائتين وخمسين حانوتا، وفقدت أموال كثيرة للتجار<sup>(209)</sup>. وتكررت الحرائق فى أسواق دمشق وقياسرها فى فترة لاحقة، ونشب حريق بأسواقها سنة 740هـ / 1329م، وكان مقدار الخسائر التى نجمت عنه نحو ألف وستمائة ألف دينار وخمسة وثلاثين ألف قرش<sup>(210)</sup>. وفى سنة 756هـ / 1356م احترق سوق القطانين، وتمكن الناس من إخماده، ولكنه أتى على كثير من الدكاكين والدور<sup>(211)</sup>. ووقع حريق آخر فى طرابلس وبيروت سنة 757هـ / 1356م، أتلّف كثيرا من الأمتعة وأشجار الزيتون<sup>(212)</sup>.

وتوالى الحرائق فى الأسواق التجارية فى الأعوام التالية، خاصة فى أعوام 794هـ / 1391م<sup>(213)</sup>، و798هـ / 1395م<sup>(214)</sup>، وعام 800هـ / 1398م<sup>(215)</sup> و894هـ / 1488م، وعام 899هـ / 1493م<sup>(216)</sup>، ونجم عن هذه الحرائق خسائر مالية كبيرة، ودمار كبير فى الأسواق والقياسر والحوانيت، وتعددت أسباب هذه الحرائق، فمنها ما كان مقصودا ناتجا عن دخول عدو إلى البلاد، أو حدوث فتن داخلية، ومنها ما كان نتيجة قيام مجموعة أفراد بإحراق حوانيت تجار؛ نتيجة علاقتهم السيئة بهم، وبعضها كان سببه عدااء طائفى مثاله إحراق النصارى واليهود لسوق دمشق سنة 740هـ / 1339م انتقاما لما ارتكبه مسلمون فى وقعة سيس<sup>(217)</sup>.

إن ما تعرضت له بلاد الشام وأسواقها وقياسرها من حرائق، وما تسببت فيه من دمار وخسائر مالية ومادية كبيرة، انعكس على التجارة الداخلية، وعلى حركة النشاط التجارى بين المدن الشامية.

#### رابعا- عوامل أخرى:

أشارت المصادر إلى الأثر السلبي الذى أحدثه قطاع الطرق فى تراجع التجارة الداخلية فى خلال مهاجمتهم القوافل التجارية، كما حدث سنة 729هـ / 1328م، عندما اعترض فياض وسليمان أبناء مهنا وإخوتها تجارا، وقطعوا عليهم الطريق، وقد قبض لاحقا على أميرهم بعد أن كثر قطعهم للطريق، وتعهدهم على التجار<sup>(218)</sup>. وفى سنة 745هـ / 1344م قطعت طرقا طرابلس وبعلبك ونهبها العشير<sup>(219)</sup>.

كما أشارت المصادر إلى أسباب أخرى متعلقة بانحباس المطر، أو حدوث الصقيع، أو مهاجمة الجراد، كما حدث سنة 745هـ / 1344م، عندما انتشر الجراد فى غزة ودمشق وغيرهما، وسبب أضرارا بالغة فى المزروعات والأشجار والثمار<sup>(220)</sup>. وتسبب الجراد فى سنة 748هـ / 1347م فى إتلاف كثير من الأشجار والخضراوات، وأفسد الثمار<sup>(221)</sup>.

وسنة 803هـ/ 1400م كانت أكثر السنوات التي تسبب بها الجراد في خسائر لا تحصى؛ وكان قد هاجم بلاد الشام بعامه، حتى إنه حجب الشمس عن الأبصار لكثرتة، وأتلف جميع ما تنبتة الأرض في كل بلاد الشام، وكان من آثاره أنه لم يدع شيئاً أخضر من غزة إلى الفرات حسبما ذكر المقرئزي<sup>(222)</sup>.

أما ما يتعلق بغش العملة، وسياسة الطرح والاحتكار التجاري التي انتهجتها السلطنة المملوكية، فقد كانت ضمن العوامل التي ألحقت الضرر بالتجار المحليين، وأسهمت في تراجع النشاط التجاري بين المدن الشامية.

### خاتمة:

تناولنا في هذا البحث النشاط الصناعي والحرفي في الموانئ الشامية، في خلال العصر المملوكي، من خلال مقدمة تمهيدية، ثم بحثنا في التجارة الداخلية ومسالكتها، والسلع المتبادلة بين أسواق المدن الشامية، مما له علاقة بالصناعة والحرف الصناعية، كما تناولنا أثر المنشآت التجارية وأنواعها في هذا النشاط التجاري والصناعي داخليا وخارجيا.

ثم خصصنا عنوانا رئيسا للنشاط الصناعي والحرفي في الموانئ الشامية؛ وخلصنا إلى أن عددا من الصناعات كانت قد اشتهرت في خلال هذه الفترة؛ منها صناعات السكر، والزيت، والصابون، وصناعة المنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية، وصناعة الزجاج، والمراكب، وصناعة الخمر والورق، والصناعات المعدنية؛ مثل صناعة الأسلحة وآلات الحرب.

وبحثنا في العوامل المؤثرة في التجارة الداخلية التي تؤثر في النشاط الصناعي والحرفي، والتي كان منها: الأمراض الوبائية الخطيرة (مثل الطاعون)، والزلازل، والحرائق، والعوامل الاقتصادية الاجتماعية؛ مثل انتشار قطاع الطرق، والضرائب والعملة، والعوامل المتعلقة بالكوارث الطبيعية؛ مثل الجراد، وانحباس المطر، أو حدوث الصقيع.

ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى بيان النشاط الصناعي والحرفي في الموانئ الشامية، في خلال العصر المملوكي، وأسباب ازدهاره، ومعوقاته؛ وهو مما يسهم في فهم هذه النشاطات.

## الهوامش:

- (1) البحث مسئل جزئيا من رسالة ماچستير بعنوان: "الأهمية التجارية والاقتصادية للموانئ الشامية فى العصر المملوكى (649-922هـ / 1250-1516م)", للباحثة قمر بنى عطا، وأجيزت من جامعة الفاشر بجمهورية السودان، 2002م.
- (2) Maoz, Studies on Palestine During Ottoman period , Jerusalem, the Magnes press, 1975, p.108.
- (3) موقع بين دمشق وبلبك يلفظ أحيانا الزبدانى، منه خرج نهر دمشق، انظر: الحموى، شهاب الدين أبا عبد الله ياقوت الحموى، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ج3، ص130-131. سيشار إليه لاحقا: الحموى، معجم البلدان.
- (4) هى قرية صغيرة على نهر الخابور، انظر: الحموى، معجم البلدان، ج2، ص267.
- (5) تحدها من الشمال يافا، ومن الجنوب صيدا، ومن الغرب مرج عيون، ومن الشرق الحولة وطبريا. انظر: العلبى، أكرم حسن، عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ص34. سيشار إليه لاحقا: العلبى، عصر المماليك.
- (6) قلووس: قرية على عشرة فراسخ من الرى، انظر: الحموى، مصدر سابق، ج4، ص392.
- (7) جب يوسف: تقع على بعد اثنى عشر ميلا من طبرية، من قرى نابلس، ويطلق عليها الآن اسم سنجل، انظر: الحموى، مصدر سابق، ج2، ص101.
- (8) بلدة شرق طرابلس، وهى آخر أعمال دمشق، تقع على سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، انظر: الحموى، مصدر سابق، ج4، ص109.
- (9) كرك نوح: قرية قرب بلبك، بها قبر طويل، يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام، انظر: الحموى، مصدر سابق، ج4، ص453.
- (10) بلبك: مدينة قديمة، فيها أبنية وآثار عظيمة، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام من جهة الساحل، وهى اسم مركب من بعل (اسم صنم)، وبك، أى: دك عنقه؛ أى دقها. انظر: الحموى، مصدر سابق، ج1، ص453.
- (11) جعبر: تقع على الفرات بين يانس والركة، قرب صفين، وجعبر فى اللغة: الغليظ القصير، انظر: الحموى، مصدر سابق، ج2، ص141-142.
- (12) سلمية: قرية فى ناحية البرية، من أعمال حماة، بينهما مسيرة يومين، وكانت تعد من أعمال حمص، انظر: الحموى، مصدر سابق، ج3، ص240.
- (13) جينين: بلدة بين نابلس وبيسان، من أرض الأردن (المقصود: جند الأردن)، انظر: الحموى، مصدر سابق، ج2، ص202.
- (14) تقع بالقرب من بيسان، فتحها شرحبيل بن حسنة، انظر: الحموى، مصدر سابق، ج1، ص148.
- (15) اللد: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين، انظر: الحموى، مصدر سابق، ص15، وذكر البكرى أنها منزل جميل، تمر بها القوافل من الشام إلى مصر ومن مصر إلى الشام،



- انظر: البكري، أبا عبيد، المسالك والممالك، جزآن، حققه وقدم له: أدريان فان ليوفن، وأندريه فيز، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ص465.
- (16) العوجا: قرية من قرى فلسطين بالقرب من طبريا، انظر: الحموي، مصدر سابق، ج1، ص147.
- (17) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة، انظر: الحموي، مصدر سابق، ج4، ص299.
- (18) عين جالوت: قرية بين بيسان ونابلس، من أعمال فلسطين، انظر: الحموي، مصدر سابق، ج4، ص177.
- (19) قرية فلسطينية تقع على نهر الأردن، انظر: الحموي، مصدر سابق، ج1، ص147.
- (20) قرية بالأردن، قرب طبريا، انظر: الحموي، مصدر سابق، ج1، ص136.
- (21) قرية من أعمال دمشق، تقع في أوائل حوران، وبينها وبين دمشق مرحلتان، انظر: الحموي، مصدر سابق، ج1، ص431.
- (22) غابغب: قرية في نواحي دمشق، الحموي، مصدر سابق، ج1، ص184.
- (23) الكسوة: قرية قرب دمشق، وهي أول منزل تنزلة القوافل، إذا خرجت من دمشق إلى مصر. انظر: الحموي، مصدر سابق، ج4، ص461.
- (24) العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أبو العباس، التعريف بالمصطلح الشريف، دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، الطبعة الأولى، منشورات جامعة مؤتة، 1413هـ/1992م، ص276، سيشار إليه لاحقا: العمري، التعريف. وانظر القلقشندي؛ أبا العباس أحمد بن علي (821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ/1987م، ج4، ص426.
- (25) الكرك: يحدها جنوبا العقبة، وشرقا البلقاء، وشمالا بحيرة لوط (البحر الميت)، وغربا صحراء سيناء، وهي من المعاقل الحصينة، بناها الملك العادل، ثم أضيفت إليها الشوبك، فصارت تعرف باسم كرك شوبك، انظر: العلي، عصر المماليك والعثمانيين، ص35.
- (26) بيت جبريل أو بيت جبرين: قرية تقع بين بيت المقدس وغزة، كانت فيها قلعة حصينة، خربها صلاح الدين الأيوبي عندما حررها من الإفرنج، انظر الحموي، معجم البلدان، ج1، ص519.
- (27) ابن الشحنة؛ حسن بن محمد بن محمد (ت: 890هـ/1485م)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتاب العربي وعالم التراث، دمشق، 1984م، ص263-264.
- (28) خرابشة؛ سليمان، نيابة طرابلس في العصر المملوكي، ص177.
- (29) دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، دار الرشيد للنشر، الطبعة الأولى، 1981م، ج4، ص510، سيشار إليه لاحقا: دوزي، تكملة المعاجم، زجاج ملون لاعم.
- (30) انظر، المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص118.

- (31) اسم ثوب، وهى عند الإدريسي ثوب من الكتان موشى عادة بالذهب، وفى معجم فوك ثوب قرمزي، وهو ضرب من ثياب الحرير رقيق جدا، وثوب من التفتة الحمراء رقيق جدا، ومعنى الحلة: القميص والأزرار والرداء، ولا تكون أقل من هذه الثلاثة، انظر دوزى، تكملة المعاجم، ج3، ص263-264.
- (32) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ صيدا فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، 1986م، ص167.
- (33) توابل، أيزار، وتقال بُهارت فى المعنى نفس، وبُهار فلفل، وينطقونها بهار بالفتح خطأ. انظر: دوزى، تكملة المعاجم، ج1، ص463.
- (34) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص181.
- (35) الإدريسي، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ص369.
- (36) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص184.
- (37) المغرة: الطين الأحمر، انظر: دوزى، تكملة المعاجم، ج10، ص88.
- (38) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص184.
- (39) الطراونة؛ ثلجى، مملكة صفد فى عهد المماليك، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1402هـ/ 1982م، ص117، والصابون مركب من أحماض دهنية وبعض القلويات، وتستعمل رغوته فى التنظيف والغسيل، انظر: دوزى، تكملة المعاجم، ج6، ص418.
- (40) ابن الشحنة، الدرر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب، ص251-254.
- (41) أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب الغرضين، معادن الذهب فى الأعيان المشرفة بهم حلب، تحقيق: عيسى أبو سليم، عمان، الجامعة الأردنية، 1992، ص12، سيشار إليه لاحقا؛ أبو الوفاء، معادن الذهب.
- (42) المصدر السابق، ص98.
- (43) Goition, A Mediterranean Society, 3 vols, university of California press, Berkely, and Los Angeles California, 1967, see: vol.1, p.193.
- (44) Encyclopedia of Islam, Leiden, E. J.Brill, 1978, vol. 3, p.841.
- (45) المقرئى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج2، ص86-94.
- (46) المصدر السابق، ج2، ص92.
- (47) فهمى؛ نعيم زكى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م، ص296.
- (48) ابن صرصرى، محمد بن محمد (ت: قبل ق 9هـ/ 15م)، الدرّة المضيئة فى الدولة الظاهرية، تحقيق: م. بريس، مكتبة جامعة كاليفورنيا، 1963م، ص173.

- (49) الكنانى، مصطفى حسن محمد، العلاقات بين جنوة والشرق الإسلامى الأدنى، من الفترة 567-690هـ/ 1171-1291م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص325.
- (50) خرابشة، نيابة طرابلس، ص166.
- (51) شبارو، تاريخ بيروت، ص109.
- (52) انظر: مقالة: سوبر نهيم (M.Sobernheim) (بيبرس الأول) في دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية: أحمد الشنتاوى، حافظ جلال، عبد الحميد يونس، إبراهيم زكى خورشيد، م4، ص363-366.
- (53) المقرئى؛ تقى الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر العبيدى (ت: 845هـ/ 1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، 7 أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1997م، ج5، ص140-142، 283-284، 448، سيشار إليه لاحقاً: المقرئى، السلوك.
- (54) المبيض، سليم عرفات: غزة وقطاعها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص47-48، سيشار إليه لاحقاً: المبيض، غزة.
- (55) المصدر السابق، ص47.
- (56) دوزى، تكملة المعاجم، ج3، ص125.
- (57) Goitien , Mediterranean Society, vol.1, p.27.
- (58) Encyclopedia of Islam, vol. 2, p.945.
- (59) ابن منظور؛ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ/ 1311م)، لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من الأساتذة المتخصصين، 9 مجلدات، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ/ 2003، انظر: ج7، ص173، سيشار إليه لاحقاً: ابن منظور، لسان العرب.
- (60) الكنانى، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى، ص326.
- (61) شبارو، تاريخ بيروت، ص108.
- (62) خسرو، ناصر؛ (ت: 481هـ/ 1087م)، سفر نامه (رحلة ناصر خسروا إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري) نقلها إلى العربية الخشان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، انظر: ص67، سيشار إليها لاحقاً: خسرو، الرحلة.
- (63) المصدر السابق، ص38.
- (64) راوولف؛ لينوهارت، الرحلة إلى المشرق (إلى سوريا وفلسطين والعراق، سنة 1573هـ)، ص22-31، سيشار إليه لاحقاً: راوولف، الرحلة.
- (65) ضومط؛ أنطوان خليل، الدولة المملوكية (التاريخ السياسى والاقتصادى والعسكرى) 1290هـ/ 1422م، الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت، 1980، ص192. سيشار إليه لاحقاً: ضومط، الدولة المملوكية.

- (66) فهمى، طرق التجارة، ص288.
- (67) راوولف، الرحلة، ص26.
- (68) عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر فى عصر المماليك البحرية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1959م، ص211، سيشار إليه لاحقاً: عاشور، مصر.
- (69) صبرة؛ عفاف سيد، العلاقات بين الشرق والغرب؛ علاقة البندقية بمصر والشام، فى الفترة من (1100-1400م) دار النهضة العربية، القاهرة 1983م، ص241.
- (70) ضومط، الدولة المملوكية، ص208-209.
- (71) المصدر السابق، ص210.
- (72) الكنائى، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى، ص327-328.
- (73) اليوزبكي، توفيق، تاريخ تجارة مصر البحرية فى العصر المملوكى، مؤسسة دار الكتب، العراق، 1975، ص66، سيشار إليه لاحقاً: اليوزبكي، تاريخ تجارة.
- (74) ضومط، الدولة المملوكية، ص210.
- (75) هايد؛ ف. تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 4 أجزاء، 1985م، انظر: ص303، سيشار إليه لاحقاً: هايد، تاريخ التجارة.
- (76) ابن منظور، لسان العرب ج1، ص334.
- (77) أبو الوفاء العرضى، معادن الذهب، ص107.
- (78) الحمصى، نهدي، تاريخ طرابلس من خلال وثائق المحكمة الشرعية فى النصف الثانى من القرن السابع عشر، ص62.
- (79) فهمى، طرق التجارة، ص254.
- (80) الحمصى، طرابلس، ص62-63.
- (81) سالم، طرابلس الشام، ص455.
- (82) الحمصى، طرابلس، ص63.
- (83) شبارو، تاريخ بيروت، ص109.
- (84) ابن حجر العسقلانى؛ شهاب الدين أحمد بن على بن محمد (ت: 852هـ/ 1448م)، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة أربعة مجلدات ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد بن على، منشورات محمد على بيضون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (1418هـ/ 1997)، ك2، ص100-101. سيشار إليه لاحقاً: العسقلانى، الدرر.
- (85) كنانى، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى، ص324-325.
- (86) ابن يحيى؛ صالح (ت: 840هـ/ 1436م)، تاريخ بيروت، وهو أخبار السلف من ذرية بختر بن على أمير العرب، بيروت، تحقيق: فرنسيس هدرس اليسوعى وآخرين، دار

- المشرق، بيروت، لبنان، 1986م، ص179-180، سيشار إليه لاحقاً: ابن يحيى، تاريخ بيروت.
- (87) راوولف، رحلة الشرق، ص5.
- (88) فهمي، طرق التجارة، هامش (64)، ص294.
- (89) القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص428.
- (90) لابروكيه؛ برتراندون، رحلة برتراندون لابروكيه إلى فلسطين ولبنان وسوريا، 1432م، مقالة في مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، ترجمة: محمود زايد، ج3، أيلول 1965م، ص316، سيشار إليه لاحقاً: لابروكيه، الرحلة.
- (91) النعيمي؛ عبد القادر (ت: 927هـ/1520م)، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، تحقيق: جعفر الحسني، مطبعة الفاروقي، دمشق (1948-195)، ص203.
- (92) ابن جيعان؛ بدر الدين أبو البقاء (ت: 902هـ/1466م)، القول المستظرف في سفر مولانا الملك السلطان الأشرف، أو (رحلة قايتباي إلى بلاد الشام) (882هـ/1477م)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، جروس برس، بيروت، لبنان، 1984م، ص52-56.
- (93) عطا الله، محمود، نيابة غزة، ص243-244.
- (94) فهمي، طرق التجارة، ص281.
- (95) ضومط، الدولة المملوكية، ص211.
- (96) كناني، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى، ص323.
- (97) ضومط، الدولة المملوكية، ص211، وفهمي، طرق التجارة، ص283.
- (98) المصدر السابق، ص179.
- (99) لامنس، تجارة سواحل سورية، ص921.
- (100) راوولف، رحلة الشرق، ص33.
- (101) لامنس، تجارة سواحل سورية، ص921.
- (102) ابن بطوطة، الرحلة، ص82.
- (103) مجلة المقتطف، مج 103، ج1، 1943، ص139.
- (104) ابن شاهين؛ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه: بولس راويس، طبع في مدينة باريس، المطبعة الجمهورية، 1893م، ص47-48.
- (105) خسرو، الرحلة، ص50.
- (106) ابن الجيعان، القول المستظرف، ص58.
- (107) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص193.

- (108) فهمى، طرق التجارة، ص 287.
- (109) المرجع السابق، ص 286.
- (110) المرجع السابق، ص 286.
- (111) المرجع السابق، ص 286-287.
- (112) غوانمة، نيابة بيت المقدس، ص 92.
- (113) المرجع السابق، ص 92.
- (114) المرجع السابق، ص 92.
- (115) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 193.
- (116) فهمى، طرق التجارة، ص 288.
- (117) ضومط، الدولة المملوكية، ص 192.
- (118) فهمى، طرق التجارة، ص 148.
- (119) المرجع السابق، ص 156.
- (120) حجازى، فائزة، أهل الذمة فى بلاد الشام فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير لم تنشر، جامعة اليرموك، ص 113.
- (121) عاشور، سعيد، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، بيروت، دار النهضة، 1972، ص 266، سيشار إليه لاحقاً: عاشور، العلاقات بين الشرق والغرب.
- (122) صبرة، العلاقات بين الشرق والغرب، ص 45.
- (123) Nicola, Ziadeh, Urban life in Syria under the Early Mamluks , Green Wood Press, west port, Connecticut 1970, pp.132-133.
- (124) غوانمة، التاريخ الحضارى، ص 106-107.
- (125) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص 91، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 275، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 252.
- (126) عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص 326.
- (127) البغدادى، مراصد الاطلاع، ج 2، ص 436، ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 4، ص 126، المقرئى، السلوك، ج 4، ق 2، ص 792.
- (128) أشتور، التاريخ الاقتصادى والاجتماعى، ص 391.
- (129) ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 111، ابن شداد، الأعلاف الخطيرة، ص 92.
- (130) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص 369.
- (131) تيمرى، تاريخ طرابلس الحضارى، ج 2، ص 397.

- (132) محمد كرد علي، خطط الشام، ج4، بيروت، دار العلم للملايين، 1391هـ / 1971م، ص215.
- (133) جبيرة، العلاقات بين الشرق والغرب، ص72.
- (134) هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص196، 198، 201.
- (135) تدمري، التاريخ السياسي والحضاري، ج2، ص398.
- (136) الطراونة، مملكة صفد، ص171-172.
- (137) راوولف، ليونهارت، رحلة المشرق إلى سوريا وفلسطين والعراق (1573)، ترجمة: طه التكريتي، وزارة الثقافة، العراق، 1978، ص34-35.
- (138) خرابشة، نيابة طرابلس، ص162.
- (139) حتى، لبنان منذ أقدم العصور، ص415.
- (140) خوري، بيروت من خلال المصنفات العربية، ص70.
- (141) أشثور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص391.
- (142) سيد سالم، تاريخ صيدا، ص168.
- (143) صبرة، العلاقات بين المشرق والغرب، ص255.
- (144) طراونة، مملكة صفد، ص171.
- (145) صبرة، العلاقات بين المشرق والغرب، ص255.
- (146) حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج2، ص278، التميمي، ولاية بيروت، ج2، ص185.
- (147) صبرة، العلاقات بين الشرق والغرب، ص255.
- (148) راوولف، رحلة المشرق، ص301.
- (149) تدمري، تاريخ طرابلس الحضاري، ج2، ص399.
- (150) زيتون، العلاقات بين الشرق والغرب، ص173.
- (151) أشثور، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ص393-394.
- (152) حتى، تاريخ لبنان، ص413-415.
- (153) فهمي، طرق التجارة الدولية، ص248.
- (154) أشثور، التاريخ الاقتصادي، ص266.
- (155) خرابشة، نيابة طرابلس، ص64.
- (156) طراونة، نيابة صفد، ص64.
- (157) محمد كرد علي، خطط الشام، ج4، ص246.
- (158) أرشيبالد، القوى التجارية والبحرية، ص105.

- (159) سيد سالم، البحرية الإسلامية، ص169.
- (160) هايد، تاريخ التجار، ج1، ص190.
- (161) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص365.
- (162) سيد سالم، تاريخ صيدا، ص47.
- (163) عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص326.
- (164) سيد سالم، تاريخ صيدا، ص168.
- (165) تدمرى، تاريخ طرابلس الحضارى، ج2، ص400.
- (166) غوامه، التاريخ الحضارى لشرق الأردن فى العصر المملوكى، ص121.
- (167) حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج1، ص54.
- (168) سيد سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص25، وص50.
- (169) أرشيبالد، القوى التجارية والبحرية، ص48.
- (170) سعيد، البحرية فى عصر سلاطين المماليك، ص237.
- (171) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص30.
- (172) عن علاقته بالسلطان المملوكى والأمير يلبغا انظر: Britanica, vol.1, p.343.
- (173) الأمير يلبغا بن عبد الله الخاصكى الناصرى، أحد كبار الأمراء بمصر، انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ص438-440.
- (174) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص242.
- (175) غراب وجمعها غرابات، غربان، أغربة، سفينة شراعية حربية، لها صاريتان، تشبه القلعة، وتستعمل للقرصنة، انظر: دوزى، تكملة المعاجم العربية، ج7، ص391-392.
- (176) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص30.
- (177) رنا خورى، بيروت فى المصنفات العربية، ص135.
- (178) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص184.
- (179) الدباغ، بلادنا فلسطين، ص694.
- (180) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص239.
- (181) ابن إياس، أبو البركات محمد، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج2، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، 1960، 1974، ص174.
- (182) خرابشة، نيابة طرابلس، ص183.
- (183) ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، ج7، ص330.
- (184) المقرئى، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ق3، ص940.



- (185) ابن طولون، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق، 1980/1981م، ص179.
- (186) حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج2، ص278.
- (187) المقرئزي، السلوك، ج2، ق3، ص755.
- (188) المصدر السابق، ج2، ق3، ص775.
- (189) الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص118.
- (190) غوانمة، يوسف، الطاعون والجفاف وأثرها في جنوب بلاد الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي، مجلة دراسات تاريخية، عدد 13، تشرين أول 1983، ص74-75.
- (191) المقرئزي، السلوك، ج2 ق3، ص774-775.
- (192) الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص369. البخيت، عدنان، مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط1، 1976م، ص41.
- (193) ابن قاضي شهبة، تقى الدين أبو بكر بن أحمد (ت: 851هـ/1447م)، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج3، تحقيق: عدنان درويش دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ص243، سيشار إليه لاحقاً: ابن قاضي شهبة، تاريخه.
- (194) المصدر السابق، ج3، ص513.
- (195) المقرئزي، السلوك، ج4 ق1، ص132.
- (196) الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص369.
- (197) المقرئزي، السلوك، ج4 ق1، ص349.
- (198) ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص341.
- (199) صبيرة، العلاقات بين الشرق والغرب، ص111.
- (200) غوانمة، الطاعون والجفاف، ص79.
- (201) القزويني، زكريا بن محمود (ت: 682هـ/1283م)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981م، ص198-199.
- (202) عطا الله، نيابة غزة، ص214.
- (203) الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص163.
- (204) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص12.
- (205) المصدر السابق، ج6، ص127.
- (206) المصدر السابق، ج6، ص210.
- (207) ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ورقة 64 ب، ص165.
- (208) الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص142.

- (209) المصدر السابق، ج2، ص87.
- (210) ابن صرصرى؛ محمد بن محمد (ت: ق 9هـ/ ق15م)، الدرة المضيئة فى الدولة الظاهرية، تحقيق؛ ولیم بیرنر، ص118.
- (211) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص271.
- (212) المقرئى، السلوك، ج3، ق1، ص30.
- (213) ابن صرصرى، الدرة المضيئة، ص117.
- (214) المصدر السابق، ص173.
- (215) ابن حجر، إنباء الغمر، ج3، ص2.
- (216) ابن طولون، مفاهية الخلان، ج1، ص3.
- (217) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص217.
- (218) المقرئى، السلوك، ج2، ق3، ص563، وج2 ق1، ص211.
- (219) المصدر السابق، ج2 ق3، ص669.
- (220) العلبى، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص262.
- (221) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص129.
- (222) المقرئى، السلوك، ج3، ق3، ص64.

## قائمة المصادر والمراجع:

### أولاً- المصادر والمراجع العربية أو المعربة:

- ابن الشحنة؛ حسين بن محمد بن أحمد (ت: 890هـ/1485م)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتاب العربي وعالم التراث، دمشق، 1984م.
- ابن إياس؛ أبو البركات محمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، 1960، 1974.
- ابن جيعان؛ بدر الدين أبو البقاء (ت: 902هـ/1466م) القول المستطرف في سفر مولانا الملك السلطان الأشرف، أو رحلة فايتهاي إلى بلاد الشام (882هـ/1477م) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، جروس برس، بيروت، لبنان، 1984م.
- ابن حجر العسقلاني؛ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ/1448م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أربعة مجلدات، ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد بن علي، منشورات محمد علي بيبضون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997).
- ابن شاهين؛ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه: بولس راويس، طبع في مدينة باريس، المطبعة الجمهورية، 1893م.
- ابن صرصري، محمد بن محمد (ت قبل ق 9هـ/15م)، الدر المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق: م. بريز، مكتبة جامعة كاليفورنيا، 1963م.
- ابن طولون، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق، 1980/1981م.
- ابن قاضي شهبه، تقي الدين أبو بكر بن أحمد (ت: 851هـ/1447م)، تاريخ ابن قاضي شهبه، ج3، تحقيق: عدنان درويش، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية.
- ابن منظور؛ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ/1311م)، لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من الأساتذة المتخصصين، 9 مجلدات، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ/2003.
- ابن يحيى؛ صالح (ت: 840هـ/1436م)، تاريخ بيروت، وهو: أخبار السلف من ذرية بختر بن علي أمير العرب، بيروت، تحقيق: فرنسيس هدرس اليسوعي وآخرين، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986م.

- أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب الغرضين معادن الذهب فى الأعيان المشرفة بهم حلب، تحقيق: عيسى أبو سليم، عمان، الجامعة الأردنية، 1992.
- الاصطخرى، المسالك والممالك.
- البخيت، عدنان، مملكة الكرك فى العهد المملوكى، ط1، 1976م.
- البغدادى، مرصد الاطلاع.
- البكرى، أبو عبيد، المسالك والممالك، جزآن، حققه وقدم له: أدريان فان ليوفن، وأندريه فيز، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992.
- حجازى، فائزة، أهل الذمة فى بلاد الشام فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير لم تنشر، جامعة اليرموك.
- الحمصى، نهدي، تاريخ طرابلس من خلال وثائق المحكمة الشرعية فى النصف الثانى من القرن السابع عشر.
- الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى، معجم البلدان، 5 أجزاء، دار صادر، بيروت، لبنان.
- خرايشة؛ سليمان، نيابة طرابلس فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، الجامعة الأردنية.
- خسرو، ناصر (ت: 481هـ/ 1087م)، سفر نامه (رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية فى القرن الخامس الهجرى)، نقلها إلى العربية: الخشان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.
- دوزى، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، دار الرشيد للنشر، الطبعة الأولى، 1981م، ج4.
- راوولف، ليونهارت، رحلة المشرق إلى سوريا وفلسطين والعراق (1573)، ترجمة: طه التكريتى، وزارة الثقافة، العراق، 1978.
- سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ صيدا فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، 1986م.
- سوبر نهم (M. Sobernheim) (بيبرس الأول) فى دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية: أحمد الشنتناوى، حافظ جلال، عبد الحميد يونس، إبراهيم زكى خورشيد، م4.
- صبرة؛ عفاف سيد، العلاقات بين الشرق والغرب؛ علاقة البندقية بمصر والشام فى الفترة من (1100-1400م)، دار النهضة العربية، القاهرة 1983م.
- الصيرفى، نزهة النفوس، ج2.

- ضومط؛ انطوان خليل، الدولة المملوكية (التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري) 1290هـ/ 1422م، الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت، 1980.
- الطراونة؛ تلجي، مملكة صفد في عهد المماليك، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1402هـ/ 1982م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر في عصر المماليك البحرية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1959م.
- عاشور، سعيد، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، بيروت، دار النهضة، 1972.
- عطا الله، محمود، نيابة غزة في العهد المملوكي، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1406هـ/ 1986م.
- العلبي، أكرم حسن، عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا.
- العمرى، ابن فضل الله شهاب الدين أبو العباس، التعريف بالمصطلح الشريف، دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، الطبعة الأولى، منشورات جامعة مؤتة، 1413هـ/ 1992م.
- غوانمة، يوسف، الطاعون والجفاف وأثرها في جنوب بلاد الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي، مجلة دراسات تاريخية، عدد 13، تشرين أول 1983.
- فهمي؛ نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.
- القزويني، زكريا بن محمود (ت: 682هـ/ 1283م)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981م.
- القلقشندي؛ أبو العباس أحمد بن علي (821هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ/ 1987م.
- الكنانى، مصطفى حسن محمد، العلاقات بين جنوة والشرق الإسلامى الأدنى من الفترة 567-690هـ/ 1171-1291م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- لابروكيه؛ برتراندون، رحلة برتراندون لابروكيه إلى فلسطين ولبنان وسوريا، 1432م، مقالة في مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، ترجمة: محمود زايد جزء 3، أيلول 1965م.
- المقرئى؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدى (ت: 845هـ/ 1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، 7 أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1997م.

- المقریزی، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بیروت، لبنان، (د.ت).
- المبيض، سليم عرفات: غزة وقطاعها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
- محمد كرد على، خطط الشام، ج4، بیروت، دار العلم للملايين، 1391هـ / 1971م.
- المقدسی، البشاری، أحسن التقاسیم فی معرفة الأقالیم، مكتبة مدبولی، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1411هـ / 1991م.
- النعمی؛ عبد القادر (ت: 927هـ / 1520م)، الدارس فی تاریخ المدارس ج2، تحقیق: جعفر الحسنى، مطبعة الفاروقی، دمشق (1948-195).
- هايد؛ ف. تاريخ التجارة فی الشرق الأدنى فی العصور الوسطی، ترجمة: أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 4 أجزاء، 1985م.
- الیوزبکی، توفیق، تاریخ تجارة مصر البحرية فی العصر المملوکی، مؤسسة دار الكتب، العراق، 1975.

#### ثانيا- المصادر الأجنبية:

- Encyclopedia of Islam, Leiden, E. J.Brill, 1978, vol.3.
- Goition, A Mediterranean Society, 3 vols, university of California press, Berkely, and Los Angeles California, 1967, see: vol.1.
- Maoz, Studies on Palestine During Ottoman period, Jerusalem, the Magnes press, 1975, p.108.
- Nicola, Ziadeh, Urban life in Syria under the Early Mamluks, Green Wood Press, west port, Connecticut 1970.